ثم دخلت سنة ثلاث عشرة وأربعمائة

ذكر الصلح بين سلطان الدولة ومشرف الدولة

في هذه السنة اصطلح سلطان الدولة وأخوه مشرف الدولة، وحلف كل واحد منهما لصاحبه، وكان/ الصلح بسعي من أبي محمد بن مكرم، ومؤيد الملك الرخجي، وزير مشرف الدولة، على أن يكون العراق جميعه لمشرف الدولة، وفارس وكرمان لسلطان الدولة[1].

ج٧/٣١١/ط

ذكر قتل المعز وزيره وصاحب جيشه

في هذه السنة قتل المعز بن باديس ـ صاحب أفريقية ـ وزيره وصاحب جيشه أبا عبد الله محمد بن الحسن، وسبب ذلك: أنه أقام سبع سنين لم يحمل إلى المعز من الأموال شيئاً؛ بل يجيبها ويرفعها عنده، وطمع طمعاً عظيماً ـ لا يصبر على مثله ـ بكثرة أتباعه، ولأن أخاه عبد الله بطرابلس الغرب مجاور لزناتة، وهم أعداء دولته، فصار المعز لا يكاتب ملكاً، ولا يراسله، إلا ويكتب أبو عبد الله معه عن نفسه، فعظم ذلك على المعز فقتله.

يُحكى عن أبي عبد الله أنه قال: سهرت ليلة أفكر في شيء أحدثه في الناس، وأخرجه عليهم من الخدم التي التزمتها، فنمت فرأيت عبد الله بن محمد الكاتب، وكان وزير الباديس، والد هذا المعز، وكان عظيم القدر والمحل، وهو يقول لي: اتق الله أبا عبد الله في الناس كافة، وفي نفسك خاصة، فقد أسهرت عينيك، وأبرمت حافظيك، وقد بدا لي منك ما خفي عليك، وعن قليل ترد على ما وردنا، وتقدم على ما قدمنا، فاكتب عني ما أقول، فإني لا أقول إلا حقاً، فأملى عليَّ هذه الأبيات:

---

(١) ذكره أبو الفداء في «المختصر في أخبار البشر» (٢/ ١٥٤)، وذكره ابن الوردي في «تاريخه» (١/ ٣٢٥)، وذكره النويري في «نهاية الأرب» (٢٦/ ٢٤٨).

ولـيـت وقـد رأيـت مـصـيـر قـوم هـم كـانـوا الـسـمـاء وكـنـت أرضـاً
سـمـوا درج الـعـلا حـتـى اطـمـأنـوا وهـدّ بـهـم فـعـاد الـرفـع خـفـضـا
وأعـظـم أسـوة لـك بـي لأنـي مـلـكـت ولـم أعـش طـولاً وعـرضـاً
فـلا تـغـتـر بـالـدنـيـا وأقـصـر فـإن أوان أمـرك قـد تـقـضـى

قال: فانتبهت مرعوباً، ورسخت الأبيات في حفظي، فلم يبق بعد هذا المنام غير شهرين حتى قتل.

ولما وصل خبر قتله إلى أخيه عبد الله بطرابلس، بعث إلى زناتة فعاهدهم، وأدخلهم مدينة طرابلس، فقتلوا من كان فيها من صنهاجة وسائر الجيش، وأخذوا المدينة، فلما سمع المعز ذلك، أخذ أولاد عبد الله ونفراً من أهلهم فحبسهم، ثم قتلهم بعد أيام؛ لأن نساء المقتولين بطرابلس استغاثوا إلى المعز في قتلهم، فقتلهم[١].

ذكر عدة حوادث

وفيها كان بأفريقية غلاء شديد، ومجاعة عظيمة لم يكن مثلها في تعذر الأقوات، إلا أنه لم يمت فيها أحد بسبب الجوع، ولم يجد الناس كبير مشقة[٢].

وفيها، في شهر رمضان، استوزر مشرف الدولة أبا الحسين بن الحسن الرخجي - ولقب: مؤيد الملك - وامتدحه مهيار وغيره من الشعراء، وبنى مارستاناً بواسط، وأكثر فيه من الأدوية والأشربة، ورتب له الخزان والأطباء، ووقف عليه الوقوف الكثيرة، وكان يعرض عليه الوزارة فيأباها، فلما قتل أبو غالب ألزمه بها مشرف الدولة، فلم يقدر على الامتناع[٣].

الوفيات

وفيها توفي أبو الحسن علي بن عيسى السكري شاعر السنة، ومولده ببغداد في صفر سنة سبع وخمسين وثلثمائة، وكان قد قرأ الكلام على القاضي أبي بكر بن الباقلاني،

(١) ذكره النويري في «نهاية الأرب» (٢٤/ ٢٠٧، ٢٠٨).
(٢) ذكره النويري في «نهاية الأرب» (٢٤/ ٢٠٨).
(٣) ذكره ابن الوردي في «تاريخه» (١/ ٣٢٥)، وذكره أبو الفداء في «المختصر في أخبار البشر» (٢/ ١٥٤).

وإنما سمي شاعر السنة؛ لأنه أكثر مدح الصحابة، ومناقضات شعراء الشيعة[١].

ج٧/٣١٢/ط وفيها توفي أبو علي/ عمر بن محمد بن عمر العلوي، وأخذ السلطان ماله جميعه[٢].

وفيها توفي أبو عبد الله بن المعلم، فقيه الإمامية، ورثاه المرتضى[٣].

(١) ذكره ابن الوردي في «تاريخه» (١/ ٣٢٥)، وذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (١٥/ ١٥٦)، وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (١٢/ ٤٥٣)، وذكره الذهبي في «تاريخ الإسلام» (وفيات سنة: ٤١٣ هـ) (٣٢٥).

(٢) ذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (١٥/ ١٥٥).

(٣) ذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (١٢/ ٤٥٤)، وذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (١٥/ ١٥٧)، وذكره الذهبي في «تاريخ الإسلام» (وفيات سنة: ٤١٣ هـ) (٣٣٢ ـ ٣٣٤).